

الوافي في الوفيات

يقول : جاء القاضي وما يدعنا نعمل ما نريد ! .

فيحدثه في إبطال ما كان هم به من الشر . ومدة حياته لم يقع من السلطان إلا خير . وأما مكارمه فلم أسمع من أحد عنه إلا مكرمة أو منقبة بديعة حكى لي غير واحد بالقاهرة أنه حضرت له امرأة رفعت قصة تطلب منه إزاراً فوقع في ظاهرها إلى الصيرفي بمبلغ ثمان مائة درهم فلما رأى الصيرفي أنكرك ذلك وأوقفها وتوجه إليه وقال : يا سيدي ! . هذه سألت إزاراً والإزار ما ثمنه هذا المبلغ ! . فقال له : صدقت ! .

وأخذ القصة وقال : هذا متاع ا□ تعالى وهذه متاعي وزاد الثمان مائة ثمانين ! . وقال : أنا ما أردت إلا ثمانين ولكن ا□ أراد الثمان مائة فوزن الصيرفي للمرأة ثمان مائة وثمانين . حكى لي هذه غير واحد . وقيل لي إنه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن سأله شيئاً وإن الصيرفي أحضر إليه مرة وصولات عديدة ليست بخطه فأنكرها فقال الصيرفي : هذا في كل وقت يحضر إلي مثل هذه الوصولات ! . فقال : إذا جاء أمسكه وأحضره ! .

فلما جاءه على العادة أمسكه وأحضره إلى بابه فقيل له : إن الصيرفي وقع بالمزور ! . فقال : سيبوه ما لي وجه أراه . ثم قال : أحضروه ! . فلما مثل بين يديه قال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ! . فقال له : كلما احتجت إلى شيء اكتب به خطك على عادتك لهذا الصيرفي ولكن ارفق فإن علينا كلفاً كثيرة ! .

وقال الصيرفي : كلما جاء إليك خطه بشيء فأصرفه ولا تشاور عليه . وحكي لي أنه قبل إمساكه ضيع بعض بابية ممالك بكتمر الساقى حياصة ذهب فقال صاحبها للأمير فقال الأمير : إن لم يحضر الحياصة وإلا روحوا به إلى الوالي ليقطع يده ! .

فنزلوا بذلك البابي فوجد القاضي كريم الدين آخر النهار طالع القلعة فوقف له وشكاه حاله فقال : أخروا أمره إلى غد ! .

ولما نزل إلى داره قال لعبده : خذ معك غداً حياصة ذهب لتعطيها لذلك البابي المسكين فلما أصبح وطلع القلعة أمسك واشتغل الناس بأمره ونسي أمر البابي ولما تفرغ الناس طلب البابي وجهز إلى الوالي فقال له رفقاءه : ما كان القاضي كريم الدين قد وعدك ؟ روح إليه ! .

فقال : يا قوم ! .

إنسان قد أمسك وصور أروح إليه ! .

فقالوا له : روح إليه ! .

وكان قد أمر له بالمقام في القرافة فلما دخل إليه شكأ إليه حاله فقال : يا ابني جئت إلي وأنا في هذه الحال ! .

ثم رفع المقعد من تحته وقال له : خذ هذه الدراهم استعن بها وكانت قريب الألفين فلما أخذها وخرج قال لذلك العبد : ما كنت أعطيتك حياصة لهذا البابي ؟ فقال : نعم ! . وهذه معي ! .

فقال : هاتها ! .

فأخذها وطلب البابي ودفعها إليه وقال : هذه الحياصة أعطهم إياها والدراهم أنفقتها ! . فطلع بالحياصة وأعطاهها للملوك فدخل بها إلى الأمير سيف الدين بكتمر فقال له : قل أمر هذه الحياصة كيف ؟ فحكى له ما جرى له مع كريم الدين فقيل إن بكتمر الساقى لطم وجهه وقال : يا مسلمين ! .

مثل هذا يمسك ! .

لأنه ما أمسك إلا بغير رضاه ! .

جاء القاضي وما يدعنا نعمل ما نريد ! .

فيحدثه في إبطال ما كان هم به من الشر . ومدة حياته لم يقع من السلطان إلا خير . وأما مكارمه فلم أسمع من أحد عنه إلا مكرمة أو منقبة بديعة حكى لي غير واحد بالقاهرة أنه حضرت له امرأة رفعت قصة تطلب منه إزاراً فوقع في ظاهرها إلى الصيرفي بمبلغ ثمان مائة درهم فلما رأى الصيرفي أنكرك ذلك وأوقفها وتوجه إليه وقال : يا سيدي ! .

هذه سألت إزاراً والإزار ما ثمنه هذا المبلغ ! .

فقال له : صدقت ! .

وأخذ القصة وقال : هذا متاع ا□ تعالى وهذه متاعي وزاد الثمان مائة ثمانين ! .

وقال : أنا ما أردت إلا ثمانين ولكن ا□ أراد الثمان مائة فوزن الصيرفي للمرأة ثمان

مائة وثمانين . حكى لي هذه غير واحد . وقيل لي إنه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن سأله شيئاً وإن الصيرفي أحضر إليه مرة وصولات عديدة ليست بخطه فأنكرها فقال الصيرفي : هذا في كل وقت يحضر إلي مثل هذه الوصولات ! .

فقال : إذا جاء أمسكه وأحضره ! .

فلما جاءه على العادة أمسكه وأحضره إلى يابه فقيل له : إن الصيرفي وقع بالمزور ! .

فقال : سيبوه ما لي وجه أراه . ثم قال : أحضروه ! .

فلما مثل بين يديه قال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ! .

فقال له : كلما احتجت إلى شيء اكتب به خطك على عادتك لهذا الصيرفي ولكن ارفق فإن علينا كلفاً كثيرة ! .

وقال الصيرفي : كلما جاء إليك خطه بشيء فأصرفه ولا تشاور عليه . وحكي لي أنه قبل إمساكه ضيع بعض بابية ممالك بكتمر الساقى حياصة ذهب فقال صاحبها للأمير فقال الأمير : إن لم يحضر الحياصة وإلا روحوا به إلى الوالى ليقطع يده ! . فنزلوا بذلك الباي فوجد القاضي كريم الدين آخر النهار طالع القلعة فوقف له وشكاه حاله فقال : أخروا أمره إلى غد ! .

ولما نزل إلى داره قال لعبده : خذ معك غداً حياصة ذهب لتعطيها لذلك الباي المسكين فلما أصبح وطلع القلعة أمسك واشتغل الناس بأمره ونسي أمر الباي ولما تفرغ الناس طلب الباي وجهز إلى الوالى فقال له رفقاءه : ما كان القاضي كريم الدين قد وعدك ؟ روح إليه ! .

فقال : يا قوم ! .

إنسان قد أمسك وصور أروح إليه ! .

فقالوا له : روح إليه ! .

وكان قد أمر له بالمقام في القرافة فلما دخل إليه شكاه إليه حاله فقال : يا ابني جئت إلي وأنا في هذه الحال ! .

ثم رفع المقعد من تحته وقال له : خذ هذه الدراهم استعن بها وكانت قريب ألفين فلما أخذها وخرج قال لذلك العبد : ما كنت أعطيتك حياصة لهذا الباي ؟ فقال : نعم ! . وهذه معي ! .

فقال : هاتها ! .

فأخذها وطلب الباي ودفعها إليه وقال : هذه الحياصة أعطهم إياها والدراهم أنفقها ! . فطلع بالحياصة وأعطاهها للملوك فدخل بها إلى الأمير سيف الدين بكتمر فقال له : قل أمر هذه الحياصة كيف ؟ فحكى له ما جرى له مع كريم الدين فقيل إن بكتمر الساقى لطم وجهه وقال : يا مسلمين ! .

مثل هذا يمسك ! .

لأنه ما أمسك إلا بغير رضاه !